OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

أدب السجون في اللغة العربية وأشهر الروايات فيه

Prison literature in the Arabic language and the most famous novels in it

❁ الدكتور أمين على
محاضر بقسم اللغة العربية، المدرسة الحكوميه الثانوية العليا، صوابي
❁❁ د- محمد نعيم اشرف
محاضر بقسم اللغة العربية بالجامعة الوطينة للغات الحديثة، إسلام آباد

Abstract

Prison literature is a type of literature written by a prisoner about the injustice of an interrogator in prisons. In order to be liberated from the prison of himself and detention, the literature of the Palestinian prisons abounded in terms of a kind of modern literature in the prisons of occupied Israel, liberated by the Palestinian prisoner, with which he resists and shows the Palestinian identity, which is still young despite the occupying power. This type of literature, although its roots and history extend back to a period of time before Islam, but the historical documents agree on the point of human freedom in belief, politics and social life, this belief in freedom is shown by prisoners in different forms of template and literary genres of poetry and prose, in which the prisoner seeks with his pen to reject Occupation, oppression, and highlighting valuable values of independence and freedom. Prison literature in the pre-Islamic era was in the form of raids from the Arab tribes.

Some of the characteristics and aesthetic features of prison literature are: The liveliness of emotion and the sincerity of the experience. Because it flows from the source of suffering, & The depth of expression in terms of significance and content, and in the connection between idea and style & Symbolism: One of the most important features of cell literature is symbolism, which the writer resorts to in his circumstances during his arrest & Imagination is one of the most important elements of fiction and poetry, so the writer resorts to it in creating creative images and organizing realistic

events, in a specific linguistic form and image & Challenging with sadness: Sadness is one of the most important characteristics of the literature of detention centers. The topics of prison literature differ according to the conditions; despite this, they agree in the tinge of sadness, as pain, worries and tears. A large number of prisoners have been interested in writing novels in prisons, and we will shed light on them in this research.

Keywords: Prison literature, New Arabic trends, most famous novels.

التمهيد:

المقدمة: أدب السجون هو نوع من الأدب الذي يكتبه السجين عن ظلم المتحقق في السجون؛ لكي تحرر من زنزانة نفسه والاعتقال، ازدخر أدب السجنون الفلسطيني من حيث نوع من الأدب الحديث في سجون الإسرائيل المحتلة حرره السجين الفلسطيني يقاوم به ويظهر به الهوية الفلسطينية التي ما يزال شابا رغم القوة المحتلة. نجد في هذا النوع جهود جبارة من السجناء قد استشهد منهم خلال هذا الرحلة الصعبة، ولم يبخلوا في هدية أجسادهم بأرواحهم في هذا النضال والثورة منذ القرن الماضي، فأصواتهم تدور بين جدران السجون تبحث عن الحقوق والظروف تليق بالإنسانية، فهذا النوع من الأدب وإن تمتد جزوره وتاريخه إلى فترة زمنية ما قبل الإسلام، لكن الوثائق التاريخية تتفق في النقطة الحرية الإنسانية في الإعتقاد والسياسة والاجتماع، وهذا الإيمان بالحرية تبدو من قِبل السجناء على اختلاف أشكال القالب وأصناف أدبي شعرا ونثرا، يسعى السجين فيه بقلمه على رفض الاحتلال والظلم وإبراز قيم قيمة للاستقلال والحرية.

الحبس والسجن: السجن كلمة مرادفة للحبس والأسر بالقوة والإمساك والاحتباس في الوجوه المختلفة. فهو أدب من قِبل الأديب النضالي، ولد وترعرع في السجنون والزنازين أو أدخل في الظلام الاحتلالية ويعتبر عن آلام التعذيب وهموم السجناء وينتظر في حياته لأنوار الاستقلال وأشعة الشمس الحرة.

أدب السجون في العصر الجاهلي كانت في صورة الغارات من القبائل العربية، حتى بعد خفق الرأية الإسلام نجد سنة النبي في الفدية وفك الأسارى في أول غزوته ضد الشرك وعبدة الأصنام، ومع مرور الزمن تتغير ألوان أدب السجن وتطور في أسلوبه القديم السائد.

أدب السجنون أو المعتقلات في فلسطين المحتلة:

من أسوأ التاريخ الإنسانية هو احتلال الإسرائيل على أراضي فلسطين المقدسة، فاشتد على أهلها ظلال الظلم وكثف غموم الهموم وأبدعت لهم طرقا جديدة للقهر والقسوة والعذاب، رغم ذلك هذه ظلال من العذاب والقسوة الإنسانية قد نظمت المعتقلين في نسيج واحد من الإنسانية وألفت بين قلوبهم، فاصطلح من جديد مصطلح (أدب السجون) على الإبداعات التي ولدت وترعرت في المعاناة النفسية خلف الزنازين والقضبان الحديدة، وهذه النكبة الدموية صارت جرحا مستقلا في قلب الفلسطينيين والمسلمين خصوصا وفي وجه الإنسانية عموما.[1]

قد واجه الشعب الفلسطيني الحرمان وشرب أكوابا مرة من العذاب بعد الاحتلال، ولم يبق منهم إلا بعضهم من لم يذق مرارة العذاب السيئ وطعم الاعتقال الخشن المر. فنمنهم من فاز بحرية بعد الاعتقال ومنهم من استشهد صابرا على صنوف العذاب المتوالي. وفي هذه الأزمة لم يتخلف الفلسطينيات وصارت عرضة للقهر الإسرائيلي وتعذيب الصهونيين، لكن قد تم شجاعتهن وصمودهن ضد الاحتلال الاسرائيلي، وواجهت الشدائد بالصبر والإيمان بالحرية الإنسانية.

من بين أسوأ الممارسات لتعذيب المعتقلين هو سياسة الإفراغ الفلسطينيين ومنعهم من السياسة الوطنية وحتى الثقافة الإنسانية، وحظروهم من مبادئ الثقافة الإنسانية وحتى منعوا الورق والقلم والكتاب، فاشتد الحصار الثقافي والفكري ولم ينالوا بطرق استخدام هذا الأشياء، وبعد جهد طويل مرتب على الإضربة طويلة عن الطعام والاتصالات بالصليب الدولي نالوا بإدخال الأقلام والدفاتر والكتب إلى الزنازين. وكان هذا الجهد تستمر إلى عشرات من السنين.[2]

المميزات الجمالية لأدب السجون:

يتصف أدب السجون بجملة من الصفات والمميزات، منها:

التزام القيم الأساسية: الهم الشخصي يتجاوز إلى الهموم اجتماعية في تناغم مع القضية عندما يلاحظ ويلازم القيم والأسس والمبادئ.

1- حيوية الانفعال، وصدق التجربة؛ كونه ينهل من مصدر المعاناة.

2- عمق التعبير في الدلالة والمضمون، وفي الربط بين الفكرة والأسلوب.

3- الرمزية: من أهم مميزات أدب الزنازين هو الرمزية، يلجأ إليه الأديب في ظروفه أثناء اعتقاله.

4- التصوير الفني: يلجأ الأديب السجين إلى فرط عقود اللغة في غالب الأحيان، كي ينظم

خيالاته وأفكاره في الصياغة اللغوية، فهذا السلك الأدبي يستعين في سجل المقطوعات الرائعة والرائقة، أو يصور مناظر صامة أو يبرز انعكاس الانعطاف على المشاهد المتحركة.

5- الصنعة البلاغية رائجة الاستخدام، كالكنايات، والاستعارات، والتشبيهات، والمجاز المرسل، والمحسنات لفظية كانت أو معنوية.

6- الاختزال: وهو تسجيل الفقرات صغيرة الحجم في موضوعات تطلب الفقرات الطويلة.

7- العاطفة المتأججة: كثيرا ما يستخدم الأديب القالب اللغوي محكمة للعاطفة التي منسجمة مع المقطوعات المتكلفة في معناها ومبناها.

8- سعة الخيال: الخيال هو من أهم العناصر الروائية والشعرية، فيلجأ إليه الكاتب في تكوين الصور الإبداعية وتنظيم أحداث الواقعية، بصيغة وصورة لغوي مخصوص.

9- التحدي مع الحزن: الحزن هو من أهم مميزات وسمات أدب المعتقلات، تختلف موضوعات أدب السجون حسب الأوضاع؛ رغم ذلك تتفق في مسحة الحزن، فالآلام والهموم والدموع.

10- سعة الثقافة: رغم ضغط المحتليين تتسع الثقافة لدى السجناء وتظهر لونه في انتاجاتهم ملونة بمهاراتهم وقدراتهم الفائقة.

أدب السجن في الآداب العالمية:

وجد أدب السجن في الآداب العالمية منذ القدم، مثل:

- كتاب بوثيوس المسمى بـ (عزاء الفلسفة) (524 م) الذي وصف بأنه هذا الكتاب هو أكثر مماثلة لأدب المعتقلات إثارة في العالم على الاطلاق.

- لم يجد (ماركو بولو) الفرصة والإلهام للكتابة عن ترحاله إلى البلاد الصينية إلا بعد رجوعه وإيداعه في سجن (جنوا) من 1296-1299م.

- دانتي أليغييري (1265-1321م) صنف رائعته: (الكوميديا الإلهية) في السنوات الأخيرة إلا بعده نفسه من بلده وحبيبته بمدينة فلورنسا.

- كان (ميغيل دي سرفانتس) صار أسيرا على سفينة بحرية بين عامي (1575 و 1580م) وهذه هي االفترة التي صارت وسيلة إلهام بالنسبة له رائعته (دون كيشوت) الصادرة عام (1605م).

- قد جمع (السير والتر رالي) المجلد الأول من كتابه المسمى بـ (تاريخ العالم)، عندما سجن في عرفة على برج لندن، رغم ذلك لم يفز إلا بجمع المجلد الأول من رائعته قبل الحكم على إعدامه.

- كتب (جون بنيان) ترحلاه باسم (رحلة الحاج) عام (1678م) في السجن.
- وكذلك ترجم (مارتن لوثر) العهد الجديد إلى اللغة الألمانية عندما ضغط عليه من قِل الدولة وسجن بقلعة فارتبورغ.
- كتب (الماركيز دي ساد) في الباستيل عندما سجن هناك وضغط عليه حوالي 11 عاما، قد أن،جز خلالها إحدى عشرة رواية، وست عشرة قصة قصيرة، ومجلدين من يومياته، وعشرين مسرحية أيضا.

أهم الروايات العربية عن أدب السجون:

الرواية هي: صنف أدبي لسرد الأحداث والقصص، تتضمن عددا كبيرا من الشخصيات، وتختلف انفعالاتها وصفاتها، وتعد من بين أجمل الفنون الأدبية النثرية، تحتوي على جدة في الشكل والأسلوب من حيث محتواها ومضامينها وموضوعاتها، تسلط الضوء على القضايا الاجتماعية والاعتقادية والسياسية والأخلاقية مع إثارة التشويق.

نجد كثير من الكتاب والأدباء قد أسهموا وبذلوا جهودهم بإبداع الرواية أثناء اعتقالهم، فالتاريخ يشير لنا أن أول رواية في هذا المجال أدبي تكتب خلف الزنازين هي: (وابور الكاز)، عندما سجن الكاتب محمد عليان بالرملة عام 1976 م. تدور أحداث هذه الرواية حول الثورة الوطنية، ومخطوط الرواية توجد لدى أهل المؤلف آنذاك.

عندما ندقق النظر في أصناف أدبية أخرى ونقوم بالمقارنة بينها فنجد بالنسبة الأصناف الأخرى من الأدب الرواية هي أكثر خروجا من رحم المتقلات.

وهنالك العشرات من الروائيين الذين ساهموا وأبدعوا في إبداع الرواية أثناء اعتقلاهم، مثل: الأديب غريب عسقلاني، وحافظ أبو عباية، ومحمد البيروتي، وحسن عبد الله، وحمزة يونس، ورمزي مرعي، والدكتور خضر محجز، وزاهر جبارين، وجمعة التايه، ومحمد إبراهيم أغبارية، وعماد الزبن، وسلمان جاد الله، وعزت الغزاوي، وعصمت منصور، وفاضل يونس، وموسى الشيخ، ومحمد أبو صبحة، ونواف العامر، ومحمد عبد الهادي، ومحمود عيسى، وجمال الهور، وعلي عارفة، ومحمد عبد الهادي، ويوسف محمد، وأيمن فقيه، وحسن سلامة، وعمر حمش، وكمال الأسطل، ومحمد أيوب، ومعاذ بلال، ومؤيد الشيص، وعددا كبيرا غيرهم.

وفيما يلي قائمة بأشهر الروايات عن أدب السجون:

1- أيام من حياتي للروائية زينب الغزالي،[3] هذه الرواية قد أصدرت في آخر السبعينيات في القرن الماضي، وظلت محلا للجدال والنقاش في المجتمع المصري، زينب الغزالي قد انتمت إلى الحركة إخوان المسلمين وروت أثناء الرواية حوادث الاعتقال والتعذيب.

2- بالخلاص، يا شباب، ياسين الحاج صالح السوري.[4] قد اعتقل الكاتب من كلية الطب، واتهم عليه بأنه خالف الحزب الحكومي وانتمى إلى حزب معارض للحكومة، فقضى سنة وربعها في السجن.

3- البوابة السوداء، أحمد رائف:[5] في هذه الرواية الرائعة يسلط الكاتب أحمد رائف الضوء على تجارب حياته وعلى تجربة خاصة في رفق إخوان المسلمين مع سجناء آخرين من الشيوعيين وغيرهم، نجد هناك آراء وأفكار المتناقضة حول التجربة في الفترة الناصرية بمصر، وكذلك التناقض بين الشعارات الكبرى الاستعمار والإمبريالية، في ضوء تجاربه وتجارب رفقائه خلف الزنازين في الظلم والقهر والقسوة والتعذيب.

4- بين السجن والمنفي، أحمد عبد الغفور عطار:[6] طبعت هذا الكتاب لأول مرة في عام 1981 م، وقد أصدرت مراراً وتكراراً من المركز الثقافي العربي الواقعة في بيروت، فهذه الرواية في الأصل هي السيرة الغيرية من أحد رواد الأدب السعودي أثناء اعتقاله لمدة تسعة شهور في سجن المملكة السعودية العربية، قد اتهم الأديب بأنه يكتب ضد الدولة وأهلها في المجلات والصحف المصرية.

5- مذكرتي في سجن النساء، للأديبة نوال السعداوي:[7] هذه هي السيرة الذاتية الروائية للكاتبة نوال السعدوي، أصدرت لأول مرة في عام 2000 م من دار الآداب، تحتوي على تجاربها اثناء اعتقالها في عهد الرئيس المصري السابق أنور السادات، قد أصدر الحكم ضد الكتاب والصحفيين والمثقفين من الأدباء، فسجنوا، عندما دققنا النظر فنجد أن كلهم قد نقدوا أنور السادات وعلاقته مع إسرائيل، من ميزات هذه السيرة الروائية أنها تتعمق في تجارب السيرة والرواية أثناء الاعتقال، وهذا اللون لم نظفر عليه في كثير من الروايات والسير، فوصفت الكاتبة بكل دقة ظروف وأحوال السجناء وأهل السجن والسلطة.

6- تلك العتمة الباهرة للروائي طاهر بن جلّون:[8]، هذه الرواية قد كتب باللغة الفرنسية وأصدرت لأول مرة في عام 2000 م، ثم ترجمت ونقلت إلى اللغة العربية من دار الساقي- بيروت، لبنان، هذه الرواية هي في الأصل السيرة الغيرية لأحد المؤسسي ورواد أدب السجن المغربي، الذي قام ضد النظام

الملكي بالمغرب عام 1971 في عهد الملك الحسن الثاني، كان الكاتب ينتمي إلى أفراد الجيش الذي خرج ضد الملك، فيؤرخ الأديب تجاربه أثناء اعتقاله في السجن (تازما مارت)، الذي اشتهر بأسوأ أنواع التعذيب والظلم في تلك الفترة مع السجناء السياسيين، وكانت في تلك الفترة أكثر المعتقلات سرية. قد كتب عن هذه الفترة وسلط الضوء على تعذيب السلطة الأدباء والكتاب غيره منهم أحمد المرزوقي في (الزنزانة 10).

7- من دمشق إلى حيفا (ثلاثمائة يوم في إسرائيل)، خيري الذهبي.[9] هذا الكتاب يحتوي على يوميات نادرة، كان سوريا مخضرما، فكشف فيه الكاتب عن أسرار الحياة خلف زنازين الإسرائيل.

8- خمس دقائق وحسب.. تسع سنوات في السجون السورية للروائية هبة الدباغ:[10] هذه الرواية تسلط الضوء على نفس السجين وعلى ظروف صعبة داخل السجن الذي تؤثر في حالة النفسية للسجين، وقد تم اعتقاله بسبب انتماء أخيه إلى حركة جماعة المسلمين وإن كانت هبة لم تتهم بشيء منها.

9- (الرباعية الوطنية)، للروائي الأسير المحرر رأفت حمدونة،[11] هذه هي مجموعة أربع روايات هي:

- عاشق من جنين.
- ولن يموت الحلم.
- وقلبي والمخيم.
- والشتات.

وقد وصفها أ. د صادق أبو سليمان بـ (رباعية العشق)، هذه المجموعة هي مساهمة في تسلط الضوء على الحياة الفلسطينية داخل سجون الإسرائيلية، وأيضا تلقي الضوء على ثورة الفلسطينية ضد الإسرائيل، وجهود الشعب الفلسطيني وصورة من الوطنية، فقد استطاع الكاتب أن يعبر ما جرى بعد الاحتلال من جهد وبلاء وحرمان والتعذيب والقهر في سجون الإسرائيل، تتميز هذه المجموعة بترابط الأحداث حتى المجموعة كلها مرتبطة على نمط واحد بأسلوب سهل بسيط بلغة متناسقة ومتناسبة.

10- ستائر العتمة (جزأين)، للروائى الأديب وليد الهودلي،[12] هذه الرواية هي صورة صادقة لظروف

السجن والسجناء، وتعبر مثالا رائعا في مجال أدب المعتقلات، قد ذاع صيتها وتلقي بالقبول حتى نشرت أربعون ألف نسخة منها في ثماني طبعات في الوطن العربي.

11- سجينة طهران للروائية مارينا نعمت:[13] رواية تسلط الضوء على سياسة الإيران وقد ترجم هذه الرواية سهي الشامي، فقد اتهمت بالجرائم السياسية ضد الحكومة وكانت حينئذ في عمر 16 سنة حتى حكم عليها بالإعدام.

12- السجينة: كتبت الروائية المغربية مليكة أوفقير[14]: روايتها السجينة والتي تتحدث عن ما جرى معها ومع عائلتها إبان الانقلاب الذي قام به والدها وبعض المقربون من الملك محمد الخامس عليه، على الرغم من أنها كانت صديقة لابنة الملك وأن الملك محمد الخامس كان يعدها كابنته، ويعاملها كما يعامل ابنته تماماً، إلا أنه ضغط عليها وعلى كل أسرتها نتيجة الانقلاب والثورة، فتتغير ظروفها وخرجت من رخاء العيش إلى تعب وألم، انتقلت من القصور الملكية إلى السجن والزنازين الحديدة حتى من السطح الأرض إلى جوفها، وُزع أفراد أسرتها في زنازين مختلفة وانقطع الكلام بينهم، معاناة حقيقية وألم كبير، تمكنت مليكة وعائلتها من الإفلات منه بعد أن حفرت هي وعائلتها جدران القبو، حتى تمكنوا من الهروب واللجوء الإنساني إلى دولة أوروبية.

13- السوريون الأعداء، للكاتب فوّاز حداد:[15] تعد رواية (السوريون الأعداء) من أهم الروايات عن حياة السجن والاعتقال معاً، قد صدرت هذه الرواية لأول مرة من دار الرياض- بيروت في عام 2014 م، هذه الرواية هي صورة صادقة عن تاريخ الاستبداد في البلاد السورية وخصوصا عن الأيام التي عاش الكاتب في سجن (تدمر)، فيقارن الكاتب أيامه في السجن وبعد خروجه منه، فيسلك الضوء على الأحوال والظروف قبل الثور وبعد الثورة ضد الاستبداد، ويعرض الكاتب التفاصيل الدقيقة عن النظام الطائفي والعائلي في البلاد السورية، سجن تدمر هي أكثر شهرة في الظلم والقهر القسوة والاستبداد.

14- شرف للروائي صنع الله إبراهيم:[16] صدرت هذه الرواية لأول مرة من دار الهلال – بيروت في عام 1997، قد نالت بجوئز كثيرة حتى تعد من أفضل الروايات العربية، الرواية تسلط الضوء على قسوة السلطة وأصعب ظروف في معتقلات مصرية، فالكاتب يناقش كل الأحوال داخل السجن من الظلم والقهر وفساد أهلها وطغيان السلطة، وأيضا يلقي الضوء على الحياة الاجتماعية لشعب مصري

ومشاكل الحياة من العمل والاقتصاد.

الرواية توزع إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: عن (شرف) الذي دخل السجن بتهمة القتل، حيث قام بقتل سائح أجنبيّ حاول أن ينتهك عرضه.

الفصل الثاني: يحكي قصة طبيب يدعى رمزي متهم بقضية رشوة.

الفصل الثالث: والذي يكشف الجرائم التي ترتكبها شركات الأدوية بحق شعوب العالم الثالث

الفصل الرابع: هي مسرحية هزلية تُعرض داخل السجن، وهي إسقاط على السياسة المصرية لعصور مختلفة.

فالرواية هي صورة كاملة لاسوأ ظروف الحياة المصري سواء خارج السجن وداخله.

15- شرق المتوسط: كتبها الروائي العظيم عبد الرحمن منيف،[17] وقد كانت هذه الرواية هي الأولى من نوعها في الوطن العربي، أي أنها أول رواية تتحدث عن أدب السجون، فكانت نقطة الانطلاق لمن بعده، تتحدث هذه الرواية بشكل عام عن سجون الوطن العربي، وكيفية القمع والإذلال والإهانة التي يتعرض لها السجين، كما ويذكر بعض يوميات السجين التي تمر دقائقه وكأنها ساعات، وتمر ساعاته كأنها أيام.

16- ظل الغيمة السوداء، للروائي الأديب شعبان حسونة،[18] فكان الأديب أسيرا في المعتقل الإسرائيلي في التسعينيات القرن الماضي، وبياناته الأدبية شهيرة بين الأسرى حتى كان بعضهم يحتفظونها كتحفة أدبية.

17- العصفور الأحدب – محمد الماغوط،[19] رواية في صورة مسرحية تلقي الضوء على فقر الأديب والجوع والعذاب في السجن.

18- على جناح الدم، للروائي الأديب شعبان حسونة،[20] رواية عبقرية تسلط الضوء على صعوبة الحياة السجينة، وبسبب هذه الرواية وجودتها في الأسلوب واللغة منحت عضوية اتحاد الكتاب الفلسطيني لكاتب شعبان حسونة.

19- فرج – للكاتبة رضوى عاشور:[21]، قد صدرت هذه الرواية لأول مرة من دار الشروق – القاهرة، في عام 2008 م، تتضمن هذه الرواية على تجارب الأجيال الثلاثة المتتالية في السجن في

ثلاثة أجزاء وهي:

الجزء الأول: عن تجربة والدها داخل السجن.

الجزء الثاني: تجربتها هي خلف جدران الزنازين.

الجزء الثالث: تجربة شقيقها الصغير في المعتقلة.

وإن كانت هذه التجارب تخالف بعضها بعضا في الزمان والمكان لكن تتفق في القسوة والظلم من الحياة السيئة سياسية وأخلاقية وإنسانية داخل السجن.

20- القوقعة: رواية للسوري مصطفى خليفة،[22] أحد الناس الذين تم القبض عليهم بتهمة ظالمة، فقد كان مسيحياً يدرس في فرنسا، وعاد إلى سوريا في تلك الفترة التي حدث فيها إنقلاب لجماعة الإخوان المسلمين على النظام في سوريا، وعند وصوله المطار تم القبض عليه، والقاءه بالسجن لمدة طويلة جداً دون تهمة، إلى أن عرف في يوماً من الأيام من المحقق أنه سجين بتهمة انتماءه للإخوان المسلمين، وللتشابه بالأسماء ربما لم يصدقه أحد بأنه مسيحي الديانة وبأنه أنهى دراسته في فرنسا وعاد ليعمل في أرض الوطن، وصف مصطفى خليفة ثلاثة عشر عاماً قضاها بالسجن ذاكراً كل تفاصيله اليومية ومعاناته والآمه، أما تفاصيل هذه الرواية فلا أحد يستطيع تحملها على الإطلاق.

21- يا صاحبي السجن، للروائي أيمن العتوم[23]: رواية تلقي الضوء على تجارب الأديب خلال اعتقاله في السجون المملكة الأردنية الهاشمية وتتميز بصلابة الأفكار والأسلوب المتين.

22- يسمعون حسيسها، للروائي أيمن العتوم،[24] رواية تبين قصة حياة الطبيب السوري أدخل السجن الإسرائيلي، قضى أجمل السنة والنصف سنة من حياته، وكان سبب اعتقاله مجهولا، وبعد السنة والنصف أفرج عنه وكان سبب الإفراج كمثل سبب الاعتقال مجهولا، تسلط الرواية الضوء على الصعوبات والمشكلات التي لاقاها خلال مدة السجن مع زملائه المساجين.

الموضوعات المتناولة في أدب السجون:

تنوعت موضوعات أدب المعتقلات تتشكل وتتحد فيما بينها في نمط فني لأنها تتعلق بالانسان والظواهر الاجتماعية، فتلك الموضوعات تتحد في ذات الإنسان والمجتمع.[25] فالجوانب التي تتعلق بالإنسان والمجتمع تتخلص في أربعة أصناف هي:

- الجوانب الذاتية للسجين

- السجون والتعذيب فيها
- العلاقة بالسلطة
- العلاقة بأهل السجون.

فالجوانب الذاتية هي التي تتعلق بالمعتقل السجين وأفكاره وحالته النفسية، هذه الأمور كلها تتغير بتغير الأوضاع والتأثر من الحياة المعتقلة، فالسجين يتردد بين الأمل واليأس بين الصبر والجزع، فتظهر في أصدق صورة من الأدب الشعبي، قد يصبر على تعذيب السجن وظلم المعتقلين وحبس الزنازين، قد تقل حيلته وصبره فتظهر صور الحنين والبكاء والوجع والقهر. وهناك يجيء دور الصمود والصبر الذي تؤثر في كتابة السجين، فيجيئون بأصدق صور تنكشف الغطاء عن الخوف واللامبالاة، وتظهر صور عديدة لليأس اليومي والأمل الغد، وتبدو في نفسيته القلق النفسي والاستقرار القلبي، وتنظر الإحباط والعزيمة في الأدب.

ثم من أهم موضوعات أدب السجن المعتقلات والتعذيب بها، فهي صور للبيئات التي أحاطت بالسجن تتكون من الأمكنة والأزمنة والأحداث التي تصور السجين في لباس البطولة، فيصف السجناء البيئة والزمان والمكان بكل دقة وصدق، فهي صورة وصفية لحياة السجين في السجن ووصفية لتلك التجارب المريرة يعيش السجين فيه، فقد يكون متهما بجرم وقد سجن من غير الاتهام به، فهذه التهم هي في الأصل تعذيب الجسد والنفس معاً، فتسلب منه الحقوق الأساسية الإنسانية، وتسلب حريته الإنسانية، فتلاقي الحرمان بأقسامها الشتى القسوة والقهر والظلم حتى الضغط على الكلام والحركة.

فتربط السجون العلاقات بين السلطة وبين السجناء، فمنهم من يكتبون ومنهم من لم يجدوا الفرصة فيحفظون أسماء الشخصيات حوله، والأحداث المهمة والتواريخ في الذاكرة، ثم يصورها ويشكلها بألوان الذكرايات المرة.

خلاصة البحث:

الأدب الذي يكتب في السجن أو عن السجن تسمى بأسماء (أدب السجن مفردا وجمعا)، أو (أدب المعتقلات) أو (أدب الاعتقال)، فهو نوع من الأدب يواجه السجين فيه عذاب الوحدة في السجن مع ظلم السلطة وقهر أهله، وإن كان هذا الأدب يرجع تاريخه إلى العصر الجاهلي ثم مر عليه العصور حتى جاء القرن الماضي، احتلت الفلسطين المقدسة على يد الصهونيين، وكذلك الضغط على الحركات المختلفة ضد المسلمين من قبل الدول والحكومات في مصر وسورية وغيرها، فتبدوا أنواعا وأصنافا في الشعر والنثر، وكثرت في الكم والكيف، وإن كان صور الأدب كلها مرغوب فيها؛ لكن هذا النوع من الأدب تشكل وتصور صور العذاب والقهر تتضمن اليأس والأمل، فنجد البطل أو البطلة في أسوأ الظروف من الحياة، يلون هذا الأدب بأسلوب وصدق في صور الروايات والقصص والمسرحيات، وتتنوع موضوعات هذا الأدب حسب ظروف السجين ونفسيته فيوصف ويسجل مرارة الحياة الإنسانية لا بد من الكف والاكتفاء على هذا القدر منه.

الهوامش

[1] ناهض زكوت، التجربة الأدبية الفلسطينية في المعتقلات (الإسرائيلية)، ص: 12، مؤكز المعلومات الوطني الفلسطيني، د.ت.

Nāhiḍ Zkūt, Al-tağrbẗ al-ʾadbīh al-Falsṭīnīh fī al-muʿtqilāt (Āl-Isrāʾīlīh), P:12.

[2] عباس، فؤاد إبراهيم، الموروث الشعبي الفلسطيني في ثورة 1936 – 1939 م، ص: 36 – 37، المطبعة الفنية الحديثة – القاهرة، 1989 م. وينظر: توفيق زيد، صور من الأدب الشعبي الفلسطيني، ص: 90 – 95، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ط: 1، 1974.

ʿAbās, Fuʾād Ibrāhīm, Al-mūrūṯ al-šaʿbī al-Falsṭīnī fī ṯūrẗ 1936 – 1939, P: 36 – 37.

Tūfīq Zaīd, Ṣuwar min al-ʾādab al-šaʿbī al-Falasṭīnī, P: 90 – 95.

[3] زينب الغزالي الجبيلي، أيام من حياتي، عدد الصفحات: 114، دار الصادر القاهرة، د، ت.

Zaīnab al-Ġazālī al-Ğubīlī, Āīām min ḥaīātī, P: 114.

[4] ياسين الحاج صالح، بالخلاص، يا شباب -16 عاما في السجون السورية-، عدد الصفحات: 216، دار الساقي، بيروت – لبنان، ط: 1، 2012 م.

Īāsīn al-Ḥāğ Ṣāliḥ, Biālḫalāṣ, īā šabāb -16 ʿāmā fī al-suğūn al-Sūrīh-, P: 216.

[5] أحمد رائف، البوابة السوداء، عدد الصفحات: 748، تحرير دار اللواء الأردن – عمان، ط: 1، 1974 م.

Aḥmad Rāʾīf, Al-bwābh al-saūdāʾ, P: 748.

[6] العطار، أحمد عبد الغفور، بين السجن والمنفي، عدد الصفحات: 122، مكة المكرمة، ط: 1، 1401 هـ - 1981 م.

Al-ʿAṭār, Aḥmad ʿabdu al-ġafūr, Baīn al-siğn wālmanfī, P: 122.

[7] نوال السعداوي، مذكرتي في سجن النساء، عدد الصفحات: 188، مؤسسة الهنداوي- القاهرة، ط: 1، 2021 م.

Nawāl Al-Saʿdāwy, Muḏkrtī fī siğni al-nisāʾ, P: 188.

[8] الطاهر بن جلّون، تلك العتمة الباهرة، عدد الصفحات: 224، دار الساقي بيروت – لبنان، ط: 1، 2002 م.

Al-Ṭāhir bin Ğalwūn, Tilk al-ʿutmẗ al-bāhirh, P: 224.

[9] خيري الذهبي، من دمشق إلى حيفا –300 يوم في إسرائيل، عدد الصفحات: 224، دار السويدي للنشر والتوزيع- أبو ظبي، ط-1، 2019 م.

ḫaīrī al-Ḏahabī, min Dimšq ilia Ḥīfā –300 īūm fī Isrāʾīl, P: 224.

[10] هبة الدباغ، خمس دقائق وحسب.. تسع سنوات في السجون السورية، عدد الفحات: 229، دار النشر والتوزيع بيروت، ط: 2020 م.

Hibah al-Dabāġ, ḫams daqāʾīq wa ḥasb.. tisʿ sanwāt fī al-suğūn Al-Sūrīh, P: 229.

[11] رأفت حمدونة، الرباعية الوطنية، عدد الصفحات: 192، شبكة الأخبار الفلسطينية، ط: 2019 م.

Raʾaft Ḥamdūnh, Al-Rubāʿīh al-waṭnīh, P: 192.

[12] وليد الهودلي، ستائر العتمة، عدد الصفحات: 210، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله – الفلسطين، ط: 1، 2003 م.

Walīd al-Hūdalī, Satāʾīr al-ʿutmh, P: 210.

[13] مارينا نعمت، سجينة طهران، عدد الصفحات: 302، مؤسسة الهنداوي- القاهرة، ط: 1، يناير- 2017 م.

Mārīnā Niʿmat, Sağīnẗu Ṭihrān, P: 302.

[14] مليكة أوفقير، السجينة، عدد الصفحات: 414، المركز الثقافي العربي- رباط، د.ت.

Malīkh Oūfqīr, Al-sağīnh, P: 414.

[15] فواز حداد، السوريون الأعداء، عدد الصفحات: 474، رياض الريس للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط: 1، سبتمبر-2014 م.

Fawāz Ḥadād, al-Sūrīūn al-ʾāʿdāʾ, P: 474.

[16] صنع الله إبراهيم، شرف، عدد الصفحات: 162، دار الهلال للنشر والتوزيع – القاهرة، ط: 1، 1997 م.

Saanʿu Allah ibrāhīm, šharf, P: 162.

[17] عبد الرحمن منيف، شرق المتوسط، عدد الصفحات، 176، دار النشر والتوزيع – بيروت، ط- 1، 1972 م.

ʿAbdu al-Raḥman Munīf, Šarqu al-mutwasiṭ, P: 176.

[18] شعبان حسونة، ظل الغيمة السوداء، عدد الصفحات: 163، الاتحاد الفلسطيني للكتاب، 1999 م.

Šaʿbān Ḥasūnah, Ẓil al-ġaīmaẗu al-sūdāʾ, P: 163.

[19] محمد الماغوط، العصفور الأحدب، عدد الصفحات: 42، مكتبة المداوي – القاهرة، د.ت.

Muḥammad al-Māġūṭ, al-ʿAṣfūr al-ʾāḥdab, P: 42.

[20] شعبان حسونة، على جناح الدم، عدد الصفحات: 131، الاتحاد الفلسطيني للكتاب، د.ت.

Šaʿbān Ḥasūnah, ʿAla ğanāḥi al-dam, P: 131.

[21] رضوى عاشور، فرج، عدد الصفحات: 226، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط/ 1، 2008 م.

Riḍwā ʿĀšhūr, Farağ, P: 226.

[22] مصطفى خليفة، القوقعة (يوميات متلصص)، عدد الصفحات: 164، دار النشر للكتاب، القاهرة، د.ت.

Muṣṭfā ḫalīfh, Al-qaūqaʿh (yūmīāt mutalaṣiṣ), P: 164.

[23] أيمن العتوم، يا صاحبي السجن، عدد الصفحات: 346، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ط/ 2، 2013 م.

Āīman al-ʿAtūm, Yā ṣāḥibīa al-siğni, P: 346.

[24] أيمن العتوم، يسمعون حسيسها، عدد الصفحات: 185، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ط/ 1، 29 أكتوبر 2013 م.

Āīman al-ʿAtūm, Īsmaʿūna ḥasīsahā, P: 185.

[25] واضح الصمد، السجون وأثرها في الآداب العربية – مِن العصر الجاهلي حتى النهاية العصر الأموي – ص: 24، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: 1، 1415 هـ - 1995 م.

Wāḍiḥ al-Ṣamad, Al-suğūn wa āṯrhā fī al-ʾādāb al-ʿArabīh -min al-ʿaṣri al-Ğāhilī ḥatā al-nihāīïu al-ʿaṣri al-ʾAumawy-, P: 24.